Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى الجاهلية زهير إذا رغب ، والنابغة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، لا تهدف إلى التقليل من قدر امرىء القيس ، وانما تعبر عن إعجاب الناقد بشاعر معين ، أو عن إبراز معنى نقدى معين ، كتأثير انفعالات الرضا والسخط فى جودة الشعر ، ولكن اتجاه النقد العربى قديمة وحديثة يكاد لا يفضل شاعرا جاهليا على امرىء القيس ، وينسب القدماء إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وصفه لامرىء القيس بأنه سابق الشعراء ، بل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وصفه لامرىء القيس بأنه قائد الشعراء إلى النار ، ويعنيهم فى نقد الشعر أنه قائد وأمير للشعراء[٤] .

والمصدر الآخر لإعجابهم بمطلع امرىء القيس المذكور هو صياغة المطلع نفسه ، فكما يقول ابن رشيق عنه (وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر ؛ لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع واحد)[٥]

ومع أن مثل هذا النقد وهذا التفضيل لذلك المطلع لم يعارض فيه أحد لا من القدماء ولا من المحدثين إلا أن أيسر التأمل يظهر لنا أن تفضيلهم لهذا المطلع بهذه الصورة لا يعد من النقد فى شىء ، فأما أن قائله امرؤ القيس أو غيره فإن ذلك لا يصلح مقياسا له فى الحكم بالجودة أو القبح ، لأن الجودة أو الرداءة إنما تأتى للشىء من ذاته ، والشاعر الجيد لا يلزم أن يكون كل شعره جيدا والعكس ، وأما عن نقدهم الموضوعى له ، وقولهم ان مصدر جودته الأسباب التى قالها ابن رشيق ، فهذا أبعد ما يكون عن نقد الشعر ، فقد يصلح هذا أن يكون نقدا فى النثر ، من حيث إن كل ما عددوه من مزايا هذا المطلع لا يتجاوز وصفه بالإيجاز ، وهذا واضح من قولهم (وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى مصراع واحد) لأن ذكر هذه الأشياء لذاتها لا يقتضى الحكم بجودة أى كلام لا فى الشعر ولا فى النثر ، ولكن حشد هذه المعانى فى مصراع واحد هو صورة من صور الإيجاز ، وهذا قد يعطى الكلام صفة الجودة ، ولكن الإيجاز ليس قاصرا على الشعر ، ولا هو من خصائصه ، بل هو غالبا ما يتداول فى مجال نقد النثر ، فحينما يقال هذا كلام موجز فإنه ينصرف إلى النثر عادة ، أما خصائص الشعر التى حددها ابن رشيق نفسه فى أن الشاعر إذا لم يتميز بحاسة شاعرية فى شعره ، وأن الشعر إذا لم يتميز باختراع معنى أو توليده فلا يعد شعرا[٦] هذا المقياس الذى حصر فيه الشعر والشاعرية ، ونفى عما سواه الشاعرية والشعر لم يطبق شيئا منه قط على مطلع امرىء القيس فى حكمه عليه بأنه أجود ابتداء صنعه شاعر ، بل لو